

دور الاستعمار في تفكيك الأمة

المرجع الديني الراحل
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي قده

مؤسسة أم أبيها عليها السلام / كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

منشورات :

مؤسسة أم أبيها عليها السلام ثقافية - خيرية

كربلاء المقدسة / شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام

الفرع المقابل لقاعة الرسول عليه السلام مقابل فندق ربحانة المصطفى عليه السلام

٠٠٩٦٤٧٧٠٢٧٨٧٧٨٣ / ٠٠٩٦٤٧٨١١١٦٩٥٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم
أجمعين إلى قيام يوم الدين .

الأمّة الإسلامية الواحدة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١) .

تشير الآية الكريمة إلى واحدة من أهم القوانين الإسلامية
الحיוية وهي قانون الأمة الواحدة ، فالأمّة الإسلامية -
وبصريح القرآن - أمة واحدة لا تتجزأ ، ولا يصح جعلها أمماً
متعددة يكون بعضها كالأجانب بالنسبة إلى البعض .

(١) سورة الأنبياء : ٩٢ .

أما اعتبار بعض المسلمين أجنب، فهو حرام في الشريعة المقدسة، فليس هناك فرق بين لون ولون، ولا لسان ولسان، ولا عرق وعرق، ولا منطقة ومنطقة، فالعراقي والهندي والإيراني والخليجي والمصري والمغربي و.... كلهم يشكلون أمة واحدة وشعباً واحداً تحت نظام واحد وقانون واحد وبلد إسلامي واحد للجميع.

فلا يحق منع أي فرد مسلم في أي دولة إسلامية من الإقامة والعمل، والسفر والحضر، والزواج والمتجر، والمشاركة في أي نشاط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وما أشبه.

فالآية الكريمة تخاطب المسلمين جميعاً وتصرح لهم: بأنكم أمة واحدة، وتنتمون لشريعة واحدة، وقانون واحد، ورب واحد، ومعبود واحد، فالله تعالى هو الرب والصانع لكل المخلوقات، وهو الوحيد الذي يستحق العبادة، ويجب

على الجميع التمسك بشرعه واتباع هداه.

قال الشيخ الطبرسي رحمته الله في تفسير هذه الآية: أي هذا دينكم دين واحد، وأصل الأمة: الجماعة التي على مقصد **واحد**، فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد^(١).

ولكن هذا المعنى هو غير المعنى الظاهري للآية الكريمة، فإن الآية الواحدة ممكن أن يقصد بها عدة معان، فإذا فسرت بمعنى لا يعني نفي المعنى الآخر.

فالمعنى الظاهري للأمة الواحدة هي الجماعة الواحدة كما صرح به المفسرون، في مقابل الأمم المتعددة المتناحرة المتضاربة.

كما يمكن الاستفادة من الآية الكريمة في عموم نشر الرسالة، دون تخصيصها بقوم دون قوم، على ما ذكرناه في (التقريب):

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٧ ص ١١١ سورة الأنبياء .

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي البشر المتناثر في الأرض المتباعدين في الزمان
﴿أُمَّتِكُمْ﴾ أيها الأنبياء ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فلا أُمم تحت لواء
الأنبياء، وإنما أمة واحدة... ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ رب واحد
﴿فَاعْبُدُونِ﴾ أي أطعوني واتخذوني إلهاً دون غيري^(١) .

ويمكن أيضاً أن يستفاد من الآية ضرورة تمسك الأمة
بالحق في المعتقدات وعدم تشتتهم في العقائد، فهم أمة
واحدة، ولا يجوز أن يختار كل واحد منهم وبحسب هواه
معتقداً وديناً وشرعاً، بل على الكل أن يتبع القرآن الكريم
والرسول العظيم ﷺ والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام
والأوصياء الطاهرين المعصومين عليهم السلام.

كما قال تعالى: **[وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا]** سورة الحشر: ٧.

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ١٧ ص ٦٨ تفسير سورة الأنبياء.

وقال عزوجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] سورة النساء: ٥٩

آية الأمة الواحدة

مع كل هذه المعاني المذكورة، تبقى آية الأمة الواحدة
المذكورة في سورة الأنبياء: ٩٢ حجة في معناها الظاهري،
فالأمة تحت راية كل نبي هي أمة واحدة، والأمة الإسلامية
هكذا، لا يمكن أن نجعلها أما مختلفين، كما صنعه الغرب في
بلادنا، حيث يعتبر العراقي في إيران، وكذلك العكس،
أجنبياً.

بل العراقي والإيراني والهندي والأفغاني والتركي
والكردي... كلهم سواء يشكلون أمة واحدة، لا فرق
بينهم في القانون الإسلامي، فيحق لكل منهم أن يعيش في

أي بلد إسلامي، من دون مراجعة لدائرة من دوائر الدولة لأخذ الإقامة أو دفع رسوم وضريبة.

كما يجوز له أن يسافر إلى أي بلد إسلامي آخر من دون حاجة إلى جواز سفر وتأشيرة وما أشبه.

كما يجوز له أن يعمل في أي بلد إسلامي ويؤسس المصانع والمتاجر والمزارع وما أشبه بلا حاجة إلى أخذ رخصة أو دفع ضريبة.

كما يجوز له أن يتزوج بأي امرأة من أي بلد إسلامي مراعيًا الشروط الشرعية المقررة، وكذلك بالنسبة إلى الفتاة المسلمة أن تتزوج بأي مسلم من أي بلد إسلامي.

وهكذا له أن يستفيد من حقوقه كمواطن في أي بلد إسلامي، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والأسرية وغيرها.

أما ما نراه اليوم من تشتت الأمة الإسلامية، فهذا

عراقي، وذاك إيراني، والآخر هندي، وأفغاني، ومصري
وجزائري و... بحيث يحرم من حقوقه في بلد آخر ويعامل
معه كأجنبي، فهو خلاف صريح الإسلام.

على أرض الواقع

وعلى أرض الواقع، والتعايش الاجتماعي فيلزم أن يبقى
الناس كذلك أمة واحدة، لا فرق بين الأبيض والأسود،
والعربي والأعجمي، وقد نهاهم الله تعالى عن التفرقة
والتشتت، فقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا
وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾ (١).

فالخطاب للمؤمنين: يا أيها المؤمنون، ﴿وَلَا تَكُونُوا

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴿١﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي من بعد ما نصبت لهم الأدلة، ولا يدل ذلك على عناد الجميع، لأن قيام البيئات إنما يعلم بها الحق إذا نظر فيها، واستدل بها على الحق (١).

آية أخرى تؤكد على الأمة الواحدة

ثم لأهمية قانون (الأمة الواحدة) نرى أن هذه الآية جاءت مرة أخرى في القرآن الكريم، وبشكل آخر في تتمتها، فالباري عزوجل أنزل (آية الأمة الواحدة) مرتين وجعلهما في كتابه العزيز. قال تعالى في سورة أخرى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٢).

فمرة وردت الآية في سورة الأنبياء.

(١) التبيان في تفسير القرآن: ج ٢ ص ٥٥٠ سورة آل عمران.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٢.

ومرة في سورة (المؤمنون). مع فرق في نهايتهما.

المعصوم عليه السلام يؤكد على الأمة الواحدة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «.. وألزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان؛ كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^(١).

وقال عليه السلام: « ليردعكم الإسلام ووقاره عن التباهي والتهاذي، ولتجتمع كلمتكم، وألزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين وحجة الله على الكافرين، واذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متفرقين متباغضين، فألف بينكم بالإسلام، فكثرتم واجتمعتم وتحاببتم، فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من كلام له عليه السلام، يبين فيه بعض أحكام الدين.

تباغضوا بعد أن تحاببتهم»^(١).

وقال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «.. فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم واستحكمت عقدهم»^(٢).

وقد طرحت السيرة النبوية هذه الوحدة طرحاً عملياً وطبقته على أرض الواقع، وبينت الأسس التي تقوم عليها والمبادئ التي تعتمدها، وذلك في إطار دولة الإسلام المباركة التي أقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وحكم فيها قانون الإسلام، فكل من كان يسلم من أي قومية أو لغة أو عرق أو لون، كان كسائر المسلمين بلا فرق، وكان واحداً من تلك الأمة الإسلامية.

فقانون الأمة الواحدة وهو قانون يفرز وحدة الأمة

(١) الغارات: ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٣٢ ص ٤٠٣ ب ١١ ضمن ح ٣٧١.

ويقويها حينما يمنع تجزئتها على صعيد الواقع ، يقول الباري تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (١) ، فلا يقبل هذا القانون تحول الدولة الإسلامية إلى دويلات متعددة ومتفرقة ، ولهذا صرح الرسول الأعظم ﷺ في خطبة الوداع - مؤكداً على هذا الأمر - بقوله ﷺ :

«..أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وأدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد!» .
قالوا : نعم ، **قال :** «فليبلغ الشاهد الغائب» (٢) .

وفي حديث آخر : قال سيدنا رسول الله ﷺ : «أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) **تحف العقول : ص ٣٠ باب ما روي عن النبي ﷺ في طوال هذه المعاني .**

أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، قال الله تعالى:
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١) «(٢).

وعن الأصبع بن نباتة قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عمر، وولد أبي بكر، وسعد بن أبي وقاص، يطلبون منه التفضيل لهم؟!!

فصعد المنبر ومال الناس إليه فقال عليه السلام: «الحمد لله ولي الحمد.. أما بعد أيها الناس، فلا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا أفره الدواب، ولبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار، إذا منعهم ما كانوا فيه يخوضون، وصيرتهم إلى ما يستوجبون، فيفقدون ذلك فيسألون، ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالب، وحرمنا ومنعنا

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) معدن الجواهر: ص ٢١ باب ما جاء في واحد..

حقوقنا، فالله عليهم المستعان، من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وآمن بنبينا وشهد شهادتنا ودخل في ديننا، أجرينا عليه حكم القرآن وحدود الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، ألا وإن للمتقين عند الله تعالى أفضل الثواب وأحسن الجزاء والمآب، لم يجعل الله تبارك وتعالى الدنيا للمتقين ثواباً، وما عند الله خير للأبرار. انظروا أهل دين الله فيما أصبتم في كتاب الله، وتركتم عند رسول الله ﷺ وجاهدتم به في ذات الله، أبحسب، أم بنسب، أم بعمل، أم بطاعة، أم زهادة، وفيما أصبحتم فيه راغبين؟ فسارعوا إلى منازلكم رحمكم الله، التي أمرتم بعمارته، العامرة التي لا تخرب، الباقية التي لا تنفد، التي دعاكم إليها، وحصمكم عليها، ورغبكم فيها، وجعل الثواب عنده عنها. فاستتموا نعم الله عز ذكره بالتسليم لقضائه، والشكر على نعمائه، فمن لم يرض بهذا فليس منا ولا إلينا، وإن

الحاكم يحكم بحكم الله، ولا خشية عليه من ذلك، أولئك هم المفلحون..»^(١).

بداية التجزئة

لقد نشأت الدولة الإسلامية الموحدة في المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة، وقد جعل الرسول الأعظم ﷺ أساس هذه الدولة: العدالة، والمساواة أمام القانون، والأخوة، والتعاون، والأمة الواحدة، وأول عمل قام ﷺ به أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، وجعل أموالهم واحدة، وأهدافهم مشتركة، ومصالحهم واحدة، وقد كان هذا الاشتراك داعياً إلى الاتحاد أكثر.

وقد اتبع هذا النظام في المدن والبلاد العديدة، التي دخلت إلى الإسلام فيما بعد، فكان الجميع في ظل الأمة

(١) الكافي: ج ٨ ص ٣٦٠ كتاب الروضة ح ٥٥١.

الواحدة.

ولما ارتحل رسول الله ﷺ إلى ربه، كانت الدولة الإسلامية قد امتدت إلى بلاد جديدة، خارج حدود المدينة ومكة، كاليمن وتبوك وأطراف الجزيرة العربية، وكانت بأجمعها تحت قانون الأمة الواحدة، وبعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ توسعت الدولة الإسلامية أكثر، فشملت النوبة، ومصر، والشام، والعراق، وفارس، وأرمينية، وأذربيجان، وجرجان، وطبرستان، والأهواز، وغيرها، وكان السائد في البلاد هو قانون الأمة الواحدة، والدين الواحد، والهدف الواحد، والشعور الواحد، والقانون الواحد، بالرغم من وجود التسميات العديدة للبلاد. لأن تلك التسميات يومئذ لم تكن حاجزاً بين المسلم الذي يعيش في مصر وبين أخيه الذي يعيش في العراق مثلاً، وهكذا في البلاد الأخرى الإسلامية، ولم يكن - ببركة الإسلام -

للنعرات القومية والإقليمية أو العنصرية يومئذ وجود.
وباختصار: فإن قانون الأمة الواحدة كان هو القانون
الجاري بين المسلمين منذ عهد رسول الله ﷺ إلى قرون
عديدة.

أما الحدود والتقسيمات الجغرافية المصطنعة فقد ظهرت
منذ خمسين سنة أو أكثر قليلاً^(١). وإن كان في بداية التوسع
الإسلامي قد بادر بعض المسلمين ممن دخلوا الإسلام
لمصلحة ذاتية بعض نوبات الاختلاف، غير أن وجود الأئمة
المعصومين عليهم السلام بين الناس وتوجيههم لهم قد منع الدخلاء
والأجانب والأعداء من توسيع دائرة التفرقة والخلاف ليظل

(١) هذا الكراس من إعداد عام ١٤٠٠هـ. علماً أن تقسيم البلاد الإسلامية
قد برز بشكل واضح بعد انهيار الدولة العثمانية وخسارتها في الحرب
العالمية الأولى، وبوشر بتنفيذ اتفاقية (سايكس - بيكو) بين الحلفاء
المنتصرين في الحرب.

الإسلام والأمة المرحومة شامخة وموحدة، وباءت بالفشل كل محاولات معاوية ويزيد وأضرابهما من الأمويين ومن غضب الخلافة، ومن تبعهم من العباسيين، ودسائسهم التي كانوا يحكونها، من أجل طمس معالم الدين وإماتة أحكامه، وذلك بفضل المواقف الشجاعة والحكمة التي سطرها أئمة الهدى (عليهم الصلاة والسلام).

نعم، إن تشتت الأمة كما أشرنا، لم يخيم على بلادنا إلا في العصور المتأخرة، حين استطاع الغرب والشرق، أن يضللا الناس ويجرانهم نحو الانحدار، حيث غيروا قانون الأمة الواحدة إلى قانون الأمة المشتتة المتنازعة المتحاربة، وقاموا بتأجيج نار التفرقة والعنصرية والتعصب القومي ونحوه فيما بين الأمة. مضافاً إلى ما سعوا إليه من فصل الناس والجماهير عن قياداتهم الدينية ومراجعهم الشرعية.

وهكذا تحولت الأمة إلى أمم عديدة، والدولة إلى دول

متفرقة، بل دويلات متناحرة، لا تقوى على أن ترد عن أنفسها ضرراً، أو تجلب لها نفعاً، ثم اصطنعت بحجة مواكبة العصر والتمدن موجة من التخلف والجاهلية المعاصرة، فاستبدلت بالأحكام الوضعية الثقافات المستوردة وأحلتها محل أحكام الله وتعاليم كتابه، وبهذا نمت المشكلات المعقدة، والنعرات الغربية على مجتمعاتنا، والتي بقيت آثارها إلى يومنا هذا حاكمة بين المسلمين، وهكذا نشاهد الآن، حكومات متعددة متناحرة، وقوانين متعددة تشتت الأمة، وبلاد متناثرة تحت نير الدول الاستعمارية.

المأساة والعلاج

يبلغ عدد المسلمين اليوم حسب بعض الإحصائيات المنشورة مليار مسلم^(١). لكنهم مبعثرون جغرافياً، وإقليمياً،

(١) وفي بعض الإحصائيات الأخيرة ذكر أن نفوس المسلمين يناهز المليارين، انظر كتاب (عندما يحكم الإسلام) لعبد الله النفيسي.

ونفسياً، وأغلبهم يعيشون تحت سيطرة الاستعمار، والاستغلال الأجنبي.

وقد تبدلت القوانين الإسلامية في البلاد الإسلامية إلى قوانين وضعية وهدامة، مدسوسة من الغرب والشرق، بعدما كانت قوانين إلهية سهلة سمحة، وهذا سبب للبلاد الإسلامية التجزؤ والتشتت والوقوع تحت نير الاستعمار، حيث نشأ من عدم اتخاذ الإسلام - بالكامل - منهجاً عملياً في الحياة، وقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(١). أي: ومن أعرض عن القرآن وقوانينه وأحكامه، وعن الدلائل التي أنزلها الله لعباده، وصدف عنها، ولم ينظر فيها، وعن الحجج التي نصبهم أئمة للخلق، فتركهم ولم يتبعهم. ﴿فَإِنَّ

(١) سورة طه: ١٢٤.

لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴿١﴾ أَي: عِشًا ضَنْقًا، وهو أن يقتصر عليه
الرزق عقوبة له على إعراضه، فإن وسع عليه فإنه يضيق
عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه. وإن أنفقه فإن
الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة. (١)

ومن تفسير هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي
لم يتبع أوامري التي ذكرته بها، وسميت الأوامر ذكراً لما
أودع في فطرة الإنسان من أصولها وجذورها، ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾ في
الدنيا ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي ضيقة؛ وذلك لأن أوامر الله
سبحانه هي الملائمة للحياة، فالإعراض عنها يوجب ضيق
العيش مادياً وروحياً، ولذا نرى الكفار في أوج ماديتهم
الظاهرية في أضنك الحالات الروحية وأضيق المجالات النفسية
﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي نحشر المعرض، ومعنى الحشر جمعه مع

(١) راجع تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٦٣ سورة طه.

سائر بني نوعه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ عن العين لا يرى

شيئاً^(١).

والضنك : معناه الضيق ، الذي هو ضد السعة ، كما ذكره

الراغب في المفردات^(٢).

وإن ذكر الله سبحانه وتعالى يعني السعة والتحرر من العبودية

ومن الانحلال ومن الأهواء الشيطانية.

ومن الواضح : أن الذكر العملي من أجلى مصاديق

الذكر، وذلك باتباع الأحكام الإلهية، من دون استثناء أو

تبعيض، فإنها مناهج عملية للمسلمين في كل شؤون

حياتهم، فإن صلاة الجماعة، والأمر بالمعروف، والصوم،

والحج، والتصدق، والجهاد، وغيرها، كلها أعمال عبادية

تتضمن مفاهيم سياسية، فيها رضا الله تعالى، كما تتضمن

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان : ج ١٦ ص ١٤٥ تفسير سورة طه.

(٢) مفردات غريب القرآن : ص ٢٩٩ مادة ضنك ، للراغب الأصفهاني.

مفاهيم اجتماعية تدعو المسلمين للاجتماع والقوة، والاكتماء الذاتي، والتحرر من الاستعمار ومن القوانين الوضعية، والسعة في العيش الرغيد، بدون قيود. ولقد لمس الناس كل هذه الصورة الجميلة في إطار الدولة الإسلامية الموحدة في زمن الرسول الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين عليّ السلام. (١)

وقد استفاد أعداء الإسلام من القوانين الإسلامية الحيوية في تمشية أمور حياتهم وتطورهم وتقدمهم، وعملوا ليل نهار على أن لا يعمل المسلمون بها لكي يتأخروا، وكانت النتيجة ما نشاهده اليوم ونلمسه من مظاهر الضعف والتمزق والتخلف في الأمة وفي كل المجالات! ولا تكاد تمر بنا فترة

(١) ينظر كتاب: (حكومة الرسول ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليّ السلام)، وكتاب: (الحكومة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين عليّ السلام) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه).

دون أن تصدمنا أبناء حرب هنا ، ونزاع هناك بين تلك الدولة الإسلامية وجارتها الإسلامية الأخرى .. وما ذلك إلا بسبب الإعراض عن ذكر الله ، وهجران أحكامه وقوانينه وخاصة قانون الأمة الواحدة. فالعيشة ضنك ، والسمة جهل وتأخر ، وانهيأرتام.

وها نحن جميعاً نرى المأساة الأخيرة ، للشعب الأفغاني ذلك البلد المسلم ، الذي لاقى شتى أنواع الظلم والاضطهاد على أيدي الشيوعية الظالمة ، عندما أرسل السوفييت عشرات الألوف من قواتهم وعملائهم للقضاء على كرامة الإنسان المسلم واستعمارهم في أفغانستان ، فجاءوا إليها كالسيل الجارف ، وهم يحملون روح الشر والعدوان ضد الإسلام والمسلمين ، فكان دأبهم اليومي هو قتل المسلمين وهدم بيوتهم ، وزج القسم الآخر منهم إلى السجون ، وتعذيبهم بأبشع أنواع التعذيب ، وغالبية المسلمين

يتفرجون ، فكيف حدث ذلك في هذا البلد المظلوم؟^(١)

(١) بعد إنقلاب عام (١٩٧٨م) الذي جاء بالحزب الشيوعي للحكم إلى أفغانستان بدأت حركة الرفض الشديد للنظام الشيوعي القائم ، فأخذت الدولة الشيوعية حملة من الاعتقالات ضد الشعب الأفغاني ، مما أثار موجة استياء عامة أعقبها حركة هجرة من البلاد ، وموجة من المقاومة الشعبية في أطراف البلاد ضد الحكم الحديد ، ومن خلال هذه الأحداث وحد السوفييت الفرصة السانحة لغزو أفغانستان مستفدين من العجز الأمريكي على الرد ، عندها جمعوا من تبقى من الأحزاب الشيوعية ، ثم دخلوا العاصمة كابل عام (١٩٧٩م) ، وقد مر الغزو السوفيتي ثلاث مراحل مهمة :

المرحلة الأولى : مرحلة الرئيس بابر كاركامل وقد امتدت سبع سنوات من عام (١٩٧٩ - ١٩٨٦م) .-

المرحلة الثانية : مرحلة نجيب الله قبل خروج السوفيت من عام (١٩٨٦ إلى عام ١٩٨٨م) .-

المرحلة الثالثة : مرحلة نجيب الله بعد خروج الاتحاد السوفيتي وقد امتدت أربع سنوات من عام (١٩٨٨ - ١٩٩٢م) وهو سقوط كابل بيد

إن ذلك لم يحدث فجأة، وبدون تخطيط وعمل. إذ أننا لو
رجعنا إلى الوراء قليلاً وبجثنا في التأريخ لأدركنا سبب ما
يحدث في هذا البلد وسائر البلدان الإسلامية.

→
المقاومة الشعبية.

وكان خلال هذه الفترة موجة قوية في الصراع بين القوات الشعبية
والقوات المحتلة مع الرئيس المحلي للحكومة الأفغانية المسيطر عليها
من قبل الأتحاد السوفيتي، وتبلورت خلال هذه الفترات أحزاب
إسلامية كثيرة كانت تعمل على إزالة المد الأحمر من البلاد، فأخذت
القوات السوفيتية بإبادة جماعة وإرهاب دموي وتعذيب منظم، إلا
أنهم لم يقدروا دحر المقاومة الإسلامية التي نمت، وهكذا خضعت
القوات السوفيتية وبمرارة بواقع الهزيمة السياسية في أفغانستان، وتم
سحب قواتها في ظل حكومة نجيب الله سنة (١٩٨٨م). انظر
(أفغانستان تاريخها رجالاتها): ص ١٠٤ حسين الفاضلي.

حكومة القاجار في إيران

كانت الحكومة القاجارية^(١)، قبل ما يقارب الـ(٢٥٠)

(١) القاجار: قبيلة من قبائل التركمان كانت تقيم في إيران، يرجع تأسيسها إلى محمد حسن خان سنة (١٧٦٠م) وقد أسسها أولاً في جيلان وماندران، وقتل الملك محمد حسن خان في نفس السنة التي عين فيها ابنه محمد خان ولياً للعهد، فقام مقامه. وكان من أبرز ملوك القاجارية: آغا محمد خان حيث استطاع أن يستولي على الحكم في بلاد فارس بعد قيامه سنة (١٧٧٤م) بتصفية الخانات الزند في كرمان بطريقة دموية، ثم قضى بنفس الطريقة على الأفشاريين في مدينة مشهد سنة (١٧٩٦م)، ثم وحد البلاد واتخذ لقب الشاه سنة (١٧٩٦م). ومنهم الملك بابا خان الذي لقب بـ(فتح علي شاه)، جلس على العرش عام (١٢٢١) للهجرة، وتوفي سنة (١٢٥٠) للهجرة، ذكر أن فتحعلي شاه كان يكبر العلماء وأهل الدين، وقد ألف له العلماء الكتب العديدة، منهم العلامة الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ألف له كتاب (كشف الغطاء). وألف له الميرزا محمد جعفر الأسترابادي كتابه (نجم الهداية) وألف له الشيخ علي أكبر الأصفهاني

كتاب (زبدة المعارف). ووقد اهتم بعمارة العتبات المقدسة في مدن الشيعة كمدينة كربلاء المقدسة، وقم، وغيرها.

وكان فتح علي شاه قد انهزم أمام القوات الروسية سنة (١٨١٣-١٨٢٨م)، وقد خسر على إثرها منطقة القفقاز لصالحهم. ثم دخل البريطانيون في الصراع الدائر على بلاد فارس فاحتلوا الجزء الجنوبي منها. فأصبحت بلاد فارس (إيران) مقسمة إلى منطقتي نفوذ، الأولى تحت سلطة البريطانيين، والثانية تحت سلطة الروسيين. حتى أصبح اقتصاد البلاد في عهد ناصر الدين شاه ينظمه البريطانيون عن طريق ممارساتهم الاحتكارية وحصولهم على تنازلات كبيرة (عبر مشاريع خطوط السكك الحديدية، والتلغراف). وكان ملوك القاجار - وعلى جبهة أخرى - في صراع دائم مع المعارضة الأهلية، أدت هذه الصراعات إلى تشتيت مراكز القوى في البلاد. وقد أدى احتكار البريطانيون لتجارة التبغ إلى قيام اضطرابات سنة (١٨٩٠م) فاسقط احتكارهم بفتوى المجدد الشيرازي ميرزا كاظم الشهيرة.

ومن أشهر ملوكهم: الشاه ناصر الدين الذي اعتلى العرش عام (١٢٦٤هـ) وقتل عام (١٣١٣هـ) وقد ذكرت له خدمات لمذهب أهل

البيت عليه السلام حيث اعتنى بأهل العلم. وقد اشتهرت عند الناس هذه الصفات يوم زار العراق عام (١٢٨٧هـ) للهجرة، وهو الذي طلى بالذهب قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء يوم زار العتبات المقدسة، وإيوان المشهد الرضوي، وقبة السيد عبد العظيم. وكان من رجال الأدب والشعر فله ديوان شعر، وقد ألف له كتاب (مرآة البلدان)، وكتاب (ناسخ التواريخ) وغيرهما.

ومنهم: الشاه مظفر الدين، وفي عهده تم إقرار دستور جديد للبلاد، كان في مجمله يحد من صلاحيات الشاه توفي مظفر الدين سنة (١٩٠٧م)، فخلفه ابنه محمد علي شاه الذي خلع نفسه بعد سنتين، فخلفه ابنه أحمد شاه، وهو آخر ملوك الدولة القاجارية، وقد اعتلى العرش سنة (١٩٠٩م)، وقد قامت ثورة شعبية في طهران بسبب دخول القوات الموالية للشاه إلى مبنى البرلمان في عهده، والذي كان بدون سلطة فعلية، وقام الروس والبريطانيون ومنذ سنة (١٩١٨م) بالاستيلاء على العديد من المناطق في البلاد. فأصبحت بلاد فارس منذ (١٩١٩م) تحت الوصاية البريطانية. وقامت في نفس الفترة عدة ثورات شعبية في الجنوب قادها العلماء الشيعة. وفي سنة (١٩٢٥م) قام رئيس

سنة هي الماسكة بزمام الحكم في إيران، ولقد جاء القاجار
بجالتين إلى هذه الدولة، ولا نريد البحث بشكل مفصل في
هذا الجانب هنا. ولكن للإشارة فقط نقول: إنه لم يكن أسم
الحكومة الروسية قبل (١٥٠) سنة (السوفيت^(١)) ولم يكن

→

الوزراء رضا خان الذي أصبح نفوذه يتزايد تدريجياً، قام بخلع أحمد
ميرزا ثم اتخذ لنفسه لقب الشاه. ينظر تاريخ الشيعة: ص ٢٢٧ للشيخ محمد
حسين المظفر، وتاريخ الشيعة: ج ٣ ص ٤٣١، للشيخ سليمان ظاهر وموقع تاريخ
الحكام والسلالات الحاكمة على شبكة الانترنت.

(١) السوفيت: كلمة روسية معناها مجلس وهي الوحدة الأولى التي تشغل
قاعدة التنظيم السياسي في روسيا، وقد شكلت أواخر عام (١٩٠٥م)
باعتبارها لجان ثورية نظمتها الاشتراكيون الثائرون من عمال المصانع.
ثم شاعت هذه اللفظة عندما تكونت سلطة الثورة على أساس
الديمقراطية!! فتألفت من مجالس الفلاحين والعمال والجنود تحت
إشراف لجنة تنفيذية مركزية، وتكون ما يسمى بالاتحاد السوفياتي أو
اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، وهي دولة سابقة كانت تقع
في أوروبا وآسيا، تألفت من خمس عشرة دولة تأسيسية هي: روسيا
←

وأوكرانيا وأذربيجان وأرمينيا وأوزبكستان وتاجيكستان وتركمانستان وجورجيا وبييلوروسيا وكازخستان وقرغيزيا ومولدافيا وأستونيا ولتوانيا وتبعتها جمهوريات أخرى ، كان الاتحاد السوفياتي أكبر دول العالم مساحة وبلغ عدد سكانه عام (١٩٩٠م) (٣٠٠ مليون) نسمة ، والاتحاد السوفياتي هو روسيا سابقاً أمبراطورية القيصرية الواسعة التي حكمتها أسرة رومانوف من عام (١٦١٣ - ١٩١٧م). وبعد هزيمة الحرب العالمية الأولى قويت الحركة الماركسية فقامت ثورة (١٩١٧م) فنجح البولشفيك وسقط القيصر نقولا الثاني وسيطر الحزب الشيوعي بقيادة لينين ، وتأسست الدولة الاشتراكية. وصل آخر رؤسائها ميخائيل غورباتشوف إلى السلطة عام (١٩٨٥م) فانتهج سياسة إصلاحية أطلق عليها: البيروسترويكا ، وأعلن نظاماً رئاسياً عام (١٩٩٠م) جديداً فاستعادت دول البلطيق استقلالها ، وانحل الاتحاد السوفياتي واستقال غورباتشوف عام (١٩٩١م). ومن أهم أسباب انهيار هذا الاتحاد هو محاربة الدين وكبت الحريات إلى أبعد حد ونمو الشعور الديني بين الشعوب ، فعاد إلى عدة دول متنافسة كما كان سابقاً.

النظام الشيوعي بعد قد ظهر هناك إلى الوجود. وكانت الديانة الحاكمة هي المسيحية. ولاشك في أنه قبل ظهور الحكومة المسيحية فيها، أي قبل (٤٥٠) سنة، كانت - الغالبية العظمى - في بلاد السوفييت تحت الحكم الإسلامي، حتى أنه يذكر بأن المسلمين هم الذين بنوا قصور الكرملين^(١). ولكن بعد ذلك سيطرت الدولة المسيحية التي

(١) الكرملين: هي نوع من القلاع في عدة مدن روسية كان تستخدم مقراً للإدارة ومركزاً دينياً، وفي نفس الوقت تكون حصوناً لصد الغارات الحربية في العصور الوسطى، ومن أشهر هذه القلاع كرملين استرخان، وقازان، وموسكو، وبسكوف، ونفغورد. أما قصر الكرملين الشهير اليوم: فهو القصر الذي بني في القرن التاسع عشر، وقد أعاد السوفييت بناءه ليكون مقراً لمجلس السوفييت الأعلى (برلمان الأتحاد السوفيتي) والحكومة.

وإذا ذكر الكرملين مجرداً فالمقصود منه كرملين موسكو، وهو يقوم في المدينة القديمة ويضم بناؤه المثلث الشكل الكثير من المباني التاريخية،

جاءت بدعم الدول الغربية زمام الحكم من المسلمين ، وذلك عبر مؤامرة ماكرة مفصلة مذكورة في التاريخ .

وان أول ما فعلته الحكومة المسيحية بعد مجيئها إلى الحكم كان اغتناب الأراضي الواسعة من بلاد المسلمين التي تشمل اليوم الجمهورية ذات الأغلبية الإسلامية وهي : (أوزبكستان، داغستان، طاجيكستان، القفقاز، قرقيزيا، أرمينيا، وتركستان). ووقعت هذه الحوادث في زمن كان حكام القاجار مشغولين بالبدخ والترف والليالي الماجنة، فالانحلال كان سمة الدولة البارزة، مما أدى إلى انحلال الحكومة القاجارية في إيران، وقد كان في نية الحكومة الروسية أن تضم إليها كل الأراضي الإيرانية، ولكنها واجهت مقاومة شديدة وفعالة

→
مثل كاتدرائية أوسنسكي، وكان تتوج فيها القياصرة، وكاتدرائية أركاخلسكي وفيها مدافن القياصرة، وبرج الحرس ذو القبة الذهبية الذي بناه إيفان الرهيب.

من قبل رجال الدين ، كان أبرز زعماء هذه المقاومة المرجع الديني الكبير السيد محمد المجاهد ^(١) وغيره من

(١) هو السيد محمد بن السيد علي الطباطبائي الحائري ولد في كربلاء عام (١١٨٠هـ) ، وهو من العلماء الأعلام وسيد الفقهاء العظام في الفقه والأصول ، تخرج على يد السيد بحر العلوم ، وهو صهره على انتته الوحيدة أم أولاده الأفاضل ، وعلى والده السيد علي صاحب كتاب الرياض ، وكذ وجد في علمي الفقه والاصول حتى حزم والده بأنه أعلم منه فصار لا يفتي وانته في كربلاء ، فعلم انه بذلك فرحل إلى أصفهان وسكنها ثلاث عشرة سنة ، وهو المرجع والمدرس فيها في علمي الأصول والفقه ، حتى توفي والده فرجع إلى كربلاء فكان المرجع العام لكل الإمامية في أطراف الدنيا. وسكن الكاظمية لما كثرت مهاجمة الوهابية لكربلاء. لقب ر (المجاهد) لأن الروس في سلطنة فتح علي شاه القاجاري تعدوا على حدود إيران ، فطلب السيد المجاهد من الشاه القاجاري إعلان الحرب على روسيا فلم يجبه ، وأصر عليه السيد المجاهد وكتب إليه : إن لم تقم أنت بالجهاد فمت أنا به ، فلم يجد الشاه بدأ من أجاته ، وتوجه السيد مع جماعة من العلماء وطلاب العلوم ←

العلماء، الذي حاول أن يصدّهم عن هذا العمل، وبالفعل تمكن من الحؤول دون استيلائهم على كل الأراضي الإيرانية.

ونفوس السوفيت الآن ما يقارب الـ (٢٦٠) مليون نسمة، وفي إحصاءاتهم أن عدد المسلمين عندهم ما يقارب

→

الدينونة إلى بلاد إيران، فلما دخلها عظمه أهلها غابة التعظيم، واجتمع عليه خلق كثير، حتى أنه توضع يوماً على حوض كسر، فأخذ الناس ماء الوضوء للترك به حتى فرغ، فلما اقترب من طهران استقبله الشاه وجميع أهل طهران. ونهض للجهد، وولى الشاه ابنه وولي عهده عباس ميرزا على الحش، وبعد خسارة الحرب وغلب الروس على إيران رجع السيد المجاهد، وقد أسودت الدنيا في وجهه حتى أنه لما وصل إلى أردبيل قيل: أنه لم يتكلم سعة أيام، ولما وصل إلى قزوین توفي كمداً وغضاً عام (١٢٤٢هـ). له مؤثرات عدة مصنفة منها: مفاتيح الأصول، والوسائل في الأصول، ورسالة حجية الظن، ومناهل الأحكام في الفقه، والمصباح في شرح المفاتيح للكاشاني، وجامع العائير في الفقه، والأغلاط المشهورة، والمصباح الباهر، وعمدة المقال، وغيرها من المصنفات.

الـ (٥٠) مليون نسمة، ولكن حسب بعض الإحصاءات الأخرى فإن عدد المسلمين في الاتحاد السوفييتي يزيد على ذلك بكثير!

إن هذا العدد الهائل من المسلمين، هم اليوم واقعون تحت ضغط وأذى الحكومة السوفيتية، وعندما تبذلت الحكومة القيصرية، إلى حكومة شيوعية، كانت نتيجة هذا التغيير والتحول، هو قتل (٥٠) ألف رجل دين، و(٥) ملايين مسلم، بسبب عدم تقبلهم للأفكار الشيوعية الملحدة، وتمسكهم بالدين الإسلامي، واتباعهم العلماء والمراجع العظام.

إضاعة أفغانستان

ولما كانت الحكومة القاجارية مشغولة بالترف والبذخ واللهو، والانشغال بالنساء، وأمثال هذه التوافه، وقد دب الضعف الشديد في رجال الحكم القاجاري بحيث تسلمت

امرأة تدعى (مهد العليا) رئاسة الحكومة، وكان من صفات هذه المرأة أنها لو غضبت على أي شخص، تأمر جلاوزتها أن يقلعوا عينيه من محجرهما، وفي أحد الأيام غضبت (مهد العليا) على (عباس ميرزا)^(١)، وأصدرت الأمر بقلع عينيه، ففر عباس ميرزا حافي القدمين ولجأ إلى السفارة الإنكليزية، لكي يحافظ على حياته، وعندما كتبت الملكة (مهد العليا) رسالة إلى السفير الإنكليزي تطلب فيها إخراج عباس ميرزا من السفارة وتسليمه إليها، رد السفير الإنكليزي على ذلك، فقال: إن عباس ميرزا يعتبر لاجئاً سياسياً، ومسؤولية الحفاظ على حياته تقع على السفارة.

ومن الواضح، أن السفير الإنكليزي، لم يرد بهذا الرد لأجل سواد عيون عباس ميرزا، وإنما هي المصلحة والأطماع، فإن الإنكليز كانوا يريدون من وراء هذا الجواب، تحقيق أهداف

(١) ابن فتح علي شاه ولي العهد وحاكم أذربيجان.

أكبر، وأهم... كما سنشير إليه.

وفي أحد الأيام، وصلت رسالة إلى الملكة من بريطانيا مفادها: إنكم تجاسرتم علينا، ولا نرى جزاءً لتجاسركم هذا، إلا بدخول الجيش الإنكليزي في الأراضي الإيرانية!

وبعد فترة، دخل الجيش الإنكليزي مدينة بوشهر، عن طريق البحر. وبدأ بالتوغل في الأراضي الإيرانية، إضافة إلى الأعمال البشعة التي قام بها من القتل والسلب وانتهاك أعراض الناس، ومصادرة أموالهم وتخريب الأراضي الزراعية، وتدمير الأماكن العامة.

وهنا وجدت الملكة (مهد العليا) نفسها ضعيفة، أمام الزحف الإنكليزي في بلدها، فارتأت أن ترتكب جناية أخرى في حق الشعب الإيراني، وكانت الجناية أنها (أعطت أفغانستان هدية للإنكليز، في مقابل توقف الزحف الإنكليزي، من الحدود الجنوبية نحو العاصمة)، وكان هذا

من الأسباب الرئيسية لانفصال أفغانستان عن إيران، وجعلها دولة مستقلة منفصلة، واقعة تحت سيطرة الإنكليز.

مسؤولية المسلمين أمام الزحف السوفييتي
لما هجم جيش السوفييت على أفغانستان وسيطر عليها، قام الجيش الكافر خلال الـ(٢٠) شهراً الأولى من غزوه للأراضي الأفغانية، بقتل ما يقارب الـ(٢٠٠) ألف إنسان، وشرد مليونين آخرين فروا بأنفسهم، لا يمتلكون ملجأً يلتجئون إليه، هذا بالإضافة إلى (١٠٠) ألف شخص مفقود و(٥٠) ألف معوق^(١).

فعلى المسلمين في كل أنحاء العالم، أن لا يسمحوا للروس وغيرهم من المحتلين المغتصبين بالاستمرار في جورهم

(١) هذه الاحصاءات هي إلى تاريخ تدوين الكتاب عام ١٤٠٠ هـ، وإلا فقد ارتفعت النسبة بكثير بعد ذلك.

وظلمهم للمسلمين في أفغانستان وغيرها من بلاد المسلمين ، ويلزم عليهم العمل في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) ، في ذلك البلد المستضعف ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ..﴾^(١) . والمستضعف في أوضح معانيه : هو ذلك الشخص الذي سلبوا منه كرامته وحرية ، وسلطوا عليه شتى أنواع الأذى والتعذيب ، مضافاً إلى أن مجاهدة العدو فرض على جميع أبناء الأمة ، بحيث لو تركوا الجهاد ، لأنهم العذاب من بين أيديهم ومن خلفهم .

فالحث من الله سبحانه على تخليص المستضعفين هو المستفاد من الآية الكريمة ، حيث قال عزوجل : ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿لَا تُقَاتِلُونَ﴾ فأي عذر لكم في ترك القتال مع اجتماع الأسباب الموجبة للقتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في

(١) سورة النساء : ٧٥ .

طاعة الله، وقيل: في دين الله، أو في نصرته دين الله. أو في
اعزاز دين الله وإعلاء كلمته، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: وفي
المستضعفين، أو في سبيل المستضعفين: أي نصرتهم، وقيل:
في إعزاز المستضعفين وفي الذب عنهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ﴾ وقيل: يريد بذلك قوماً من المسلمين بقوا بمكة
ولم يستطيعوا الهجرة^(١).

وسئل الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: عن الجهاد أسنة هو أم فريضة؟ قال عليه السلام: «الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض، وجهاد سنة، فأما أحد الفرضين: فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عز وجل وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة ﴿الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٢) فرض، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض؛ فإن

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٢ ص ١٣٢ تفسير سورة النساء.

(٢) سورة التوبة: ١٢٣.

مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة، ولو تركوا الجهاد لآتاهم العذاب، وهذا هو من عذاب الأمة، وهو سنة على الإمام أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأما الجهاد الذي هو سنة، فكل سنة أقامها الرجل، وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها، فالعمل والسعي فيها من أفضل الأعمال، لأنه أحيا سنة»^(١).

ولكن المسلمين اليوم تركوا الجهاد، ولم يلبوا نداءات المستضعفين في أفغانستان؟!

ولم يتصدوا لطغيان وظلم وأطماع القوى المستكبرة التي لا تراعي أي حق ومبدأ من أبسط حقوق الإنسان، إلا في سبيل تحقيق مصالحهم الخاصة غير المشروعة، ولا تهتم أبداً للأعداد الهائلة التي سحقتها أسلحتها الفتاكة؟! فإن هؤلاء المحتلين يصرحون وبكل صلافة: إنا لو قتلنا جميع الناس، وبقي لنا

(١) بحار الأنوار: ج ٩٧ ص ٢٣ ب ٢ ح ١٥.

عشرهم يقبلون الشيوعية كان ذلك كافياً لنا. إن إفناء مليارات
البشر لا تحرك فيهم شعرة، وفي المقابل ترى القرآن يصرح:
﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا
قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا﴾^(١).

ماذا يعمل الأعداء

يعمل الأعداء ليل نهار على تفتيت الأمة الإسلامية، فإن
الأمة إذا كانت (أمة واحدة) كما جعلها الباري عزوجل وأمر
بها رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام .. لم يتمكن
أحد من السيطرة عليها ونهب ثروتها.
فلا بد من العمل الدؤوب حتى إرجاع قانون (الأمة
الواحدة) للمسلمين.

فإن أهل الباطل يعملون لباطلهم بكل جد واجتهاد، في

(١) سورة المائدة: ٣٢.

كل صغيرة وكبيرة.

فهل رأيتم اليهود أو سمعتم عنهم في مشاريعهم التي
تصب في خدمة مصالحهم، والتي يهدفون من ورائها دعم
قضاياهم ومخططاتهم الباطلة والظالمة؟

فباستطلاع بسيط في قضايا اليهود، يرى الإنسان الكثير
من البرامج والمشاريع الصغيرة والكبيرة التي لا غاية منها إلا
دعم مخططاتهم. وكمثال على ذلك نذكر هذه القصة:

نقل أحد تجار طهران قائلاً: ذهبت مرة إلى أحد تجار
الأقمشة الكبار، وبعد أن اشترت مقداراً من القماش من
صاحب المحل، أعطاني صندوقاً صغيراً، وقال: إنك رجل
طيب وتحب الخير، فخذ هذا الصندوق واجمع فيه بعض
المساعدات والتبرعات لإسرائيل!

يقول التاجر الطهراني: ارتجف بدني، وشعرت بالمهانة
الشديدة لجرأة هذا التاجر على جمع المال لليهود المعتصين

وفي البلاد الإسلامية!! فقلت له في غضب: لو كنت أعلم بأنك إسرائيلي، وتدعم المعتدين من اليهود لما اشتريت منك شيئاً أبداً.

نعم، هذا هو دأب اليهود، وشغلهم الشاغل، فهم يهتمون دائماً وبكل جد في سبيل الحفاظ على عقيدتهم المنحرفة، ويبدلون جهداً واسعاً في دعم كيانهم الغاصب، وإن بعض الإسرائيليين يوزعون المئات، بل الآلاف من أمثال هذه الصناديق الصغيرة بين الناس، لأجل مساندة إسرائيل الغاصبة.

وبحجم هذه التحديات الخطيرة، فالمسؤولية الملقاة على عواتقنا كبيرة وخطيرة جداً، وتحتاج إلى بذل الجهد في جميع المجالات لنشر الإسلام ومبادئه الحقّة.

التخلص من المآسي وإرجاع قانون الأمة
هناك عدة نقاط رئيسية في مسألة العلاج للخروج من
مأساة المسلمين والتخلص من الاستعمار، وإرجاع قانون
(الأمة الواحدة)، نذكرها باختصار:

الأول: الوعي

لابد من تعميم الوعي الإسلامي، ومن اللازم على كل
مسلم أن يعمم الثقافة الإسلامية في جميع جوانب الحياة
الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية،
وخاصة ما يرتبط بقانون (الأمة الواحدة) وذلك بواسطة كافة
الوسائل الإعلامية المتاحة، كالإذاعة والصحف والمجلات
والنوادي والكتب والمؤتمرات وغيرها.

ولعلنا نحتاج إلى طبع ملياري كتاب لنشرها في مختلف
البلاد الإسلامية، نتحدث عن أوضاع المسلمين ومآسئهم
وطرق معالجتها وكذلك في خصوص قانون (الأمة

الواحدة)، وهذا أقل الواجب.

وإلا فيلزم علينا أن نبذل الجهد الكبير لنشر أكثر ما يمكن من الكتب في سبيل التوعية الإسلامية العامة لكل البشر، وبلغاتهم المختلفة، أي ستة مليارات من الكتب، لكل إنسان كتاب واحد على الأقل.

فإنه بغير الوعي واليقظة لا يمكن التخلص من المؤامرات التي تحاك ضدنا، فقد قال الإمام **الصادق عليه السلام** : «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللواسب»^(١).

وبشكل عام، الروايات التي تحث على طلب العلم والقراءة والكتابة وما أشبه كلها تدل على ضرورة الوعي في الأمة كما هو واضح.

قال رسول الله **ﷺ** : «**أطلبوا العلم ولو بالصين**»، فإن

(١) تحف العقول: ص ٣٥٦ باب ما روي عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد **عليه السلام** في طوال هذه المعاني..

طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم ولو بخوض

اللحج وشق المهج»^(٢).

وقال عليه السلام للمفضل: «تأمل يا مفضل، ما أنعم الله تقدست أسماؤه من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره - إلى أن قال عليه السلام - وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاه لانتقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه

(١) وسائل الشريعة: ج ٢٧ ص ٢٧ ب ٤ ح ٣٣١١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٢٧٧ ب ٢٣ ضمن ح ١١٣.

من أمر دينهم ، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله..»^(١).

وان أول سورة نزلت في القرآن الكريم على المشهور هي سورة (العلق) التي تبدأ بآيات حول العلم والقراءة والكتابة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) وفيها الدعوة إلى القراءة والعلم والكتابة.

وقال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»^(٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٢٥٨ ب ١٢ ح ١٥٢٩٤.

(٢) سورة العلق: ١- ٥.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١٧ ص ٢٤٩ ب ٤ ح ٢١٢٥٠.

طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم
بِحقكم»^(١) .

وقال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله : «من خرج يطلب بايا من
العلم ليرد به باطلاً إلى حق وضالاً إلى هدى كان عمله
كعبادة أربعين عاماً»^(٢) .

ومعلوم أن التفقه هو الفهم، ومن جزئياته فهم الحياة،
وبهذه الروح الخلاقة، والفكر الواعي استطاع الإسلام أن
يتقدم، وتصل حضارته إلى أقصى نقطة في العالم.

الثقافة وأثرها

لقد اهتم العالم بالثقافة، لأن الثقافة هي التي ترسم
للأجيال مسيرتهم، وهي التي تحدد طريقة تعامل الأمة مع

(١) منية المرید: ص ١٦٢ .

(٢) منية المرید: ص ١٠١ .

الأحداث والوقائع ، وهي التي تعين مستقبل الأمم .
فالثقافة الإسلامية الأصيلة تجعل الأمة واحدة وتسير سيراً
متميزاً في الحياة ، فكرياً وعملياً ونظرياً وسلوكياً . والمسلمون
في الصدر الأول تحلوا بهذه الثقافة الرائعة فانتشر الإسلام في
نصف الكرة الأرضية ، بأقل من ثلث قرن من بداية الهجرة
الشريفة .

والمسلمون قبل ستة عقود - وفي العراق بالذات - امتلكوا
قسماً من هذه الثقافة المعجزة فحرروا أنفسهم من
الاستعمار ، فما بين الأعوام (١٩١٨ - ١٩٢٠ م) استطاعوا
إحراز النصر على أعظم إمبراطورية في العالم ، التي اشتهرت
بأنها : الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .

كيف استطاعوا ذلك ؟ مع أن عددهم يومئذ كان لا يزيد
على الـ (٤) ملايين نسمة ،

كان من أسباب ذلك الوعي الإسلامي ، حيث تمكن

الشعب العراقي وقيادة المرجع الأعلى الميرزا محمد تقي الشيرازي تُنتسُ من القيام بثورة العشرين^(١).

(١) هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي تُنتسُ زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز عام (١٢٥٦هـ) ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل عين للخلافة بالاستحقاق والألوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. فهو تُنتسُ فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده. أصدر فتوى أشعلت شرارة ثورة العشرين ضد الأحتلال الانجليزي للعراق، فقد جاء في فتواه: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية

لقد ذكرنا أن السبب الأول والأكبر كان هو الوعي، والثقافة الدينية، واتباع القيادة المرجعية الرشيدة آنذاك، بالرغم من عدم امتلاكهم للأسلحة الحربية المتطورة، ولا الأجهزة المخبرانية الحديثة، وإنما كانوا شعباً أعزل إلا من الوسائل الحربية البدائية، التي كانوا يمتلكونها، كمثل (الغالة والمكوار) وغيرها من الأدوات البدائية التي اعتادوا عليها في حياتهم المعيشية. ولكن الثقافة الإسلامية والإيمان بالله كانت

→

السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانجليز عن قبول مطالبهم». وأفتى بجرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرن إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء المقدسة. قال عنه السيد حسن الصدر في التكملة: عاشرتة عشرين عاماً فما رأيت منه زلة ولا أنكرت عليه خلة، من مؤلفاته: حاشية على المكاسب، ورسالة في صلاة الجمعة، ورسالة في أحكام الخلل. توفي رحمته الله في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) مسموماً ودفن في الصحن الحسيني الشريف ومقبرته فيه مشهورة.

هي السلاح الرئيسي لهم، وهي التي جعلتهم يقاومون ويقدمون المئات والمئات من الضحايا، في سبيل دفع المعتدين، فتغلبوا على أسلحتهم المتطورة، ثم بعد ذلك استطاع الشيخ الشيرازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من تشكيل حكومة إسلامية، وكان مقرها في كربلاء المقدسة.

ولكن بعد مرور فترة زمنية، استطاع العملاء أن يسيطروا على الشعب المسلم - بعد أن عملوا دائبين ليل نهار - على إبعاد الجماهير عن فكرهم وثقافتهم، وبعد أن تم لهم ما أراد صاروا يذبجون الأبناء ويستحيون النساء ويقودون **الآلاف** نحو السجون والسراديب المظلمة بكل قساوة وعنف في وضح النهار، وبعض الأبناء في الأمة يتحملون جزءاً من السبب في ذلك، لأنهم لم يسيروا على طريق الآباء. وكما قال سبحانه وتعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

الشّهواتِ فسوفَ يُلْفُونَ عَيًّا^(١).

وهذا هو الفرق بين الأمس واليوم، إذ أن النصر في الأمس جاء مع الوعي والتمسك بالدين، والهزيمة اليوم حلت مع الجهل بالتعاليم الإسلامية والتمسك بالثقافة الغربية الوضعية، التي وضعها الاستعمار بنفسه لاستغلالنا، وفرض الجهل بالتعاليم الأصيلة، حتى فرض علينا في النهاية قبول التقسيم والتفرقة، والحدود المصطنعة وترك قانون (الأمة الواحدة).

الثاني: التنظيم

لابد للمجتمع الإسلامي من التنظيم والتدبير.

قال الإمام الرضا عليه السلام في حديث: «... إن الإمامة زمام

(١) سورة مريم: ٥٩.

- الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين»^(١) .
- وقال أمير المؤمنين -عليه السلام- : «إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه
- الإقتصاد وحسن التدبير وحبسه سوء التدبير والإسراف»^(٢) .
- وقال الإمام -عليه السلام- : «التدبير بالرأي والرأي بالفكر»^(٣) .
- وقال الإمام الصادق -عليه السلام- : «المؤمن حسن المعونة،
- خفيف المؤنة، جيد التدبير لمعيشته، ولا يلسع من حجر
- مرتين»^(٤) .
- وقال أمير المؤمنين -عليه السلام- : «حسن التدبير وتجنب التبذير
- من حسن السياسة»^(٥) .

(١) الكافي: ج ١ ص ١٩٨ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.. ح ١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٥ ص ٢٦٦ ب ٢١ ضمن ح ١٨٢٠٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٦ ق ١ ب ١ ف ٥ ح ٥٤٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٩٣ ب ٤ ح ٢٠٢٥٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣١ ق ٤ ب ١ ف ١ ح ٧٦١٨.

وسُئِلَ الإمام الحسن عليه السلام عن المروءة؟ فقال عليه السلام:
«حفظ الرجل دينه، وقيامه في إصلاح ضيعته، وحسن
منازعته، وإفشاء السلام، ولين الكلام، والكف والتجيب
إلى الناس»^(١).

يعتبر التنظيم من المقومات الأساسية للأمة الإسلامية في تحركاتها، والتي كانت سببها في انتصار السلف، ويعتبر التنظيم حلقة مهمة في المجتمع، وأية جماعة تريد الوصول إلى الهدف سواء كان سامياً أم كان دانياً فهي بحاجة إلى التنظيم، ومن خلاله يتم التعرف أيضاً على نقاط الضعف والقوة في سلوك الطريق، ولا شك في أن الذي ينظم أمور حياته الخاصة الشخصية أو الاجتماعية فإن الله تعالى سيوفقه للنجاح في مهمته، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ

(١) وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٣٥ ب ٤٩ ح ١٥١٩٠.

شَاكِلَتِهِ فَرَبْتُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿١﴾.

وقد حثت الشريعة الإسلامية على التنظيم في مختلف المجالات الحيوية، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنيه الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله): «أوصيكما وجميع ولدي وأهلي من بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم..» (٢).

الثالث: السلم

السلم من الدعائم المهمة لإرجاع قانون (الأمة الواحدة)، ولتصافي النفوس وترابط القلوب بعضها مع بعض، والتي تزرع الاطمئنان والأمن في المجتمع، وتقضي على الأحقاد

(١) سورة الإسراء: ٨٤.

(٢) نهج البلاغة، الكتب: ٤٧ من وصية له عليه السلام للحسن والحسين

لما ضربه ابن ملجم.

والعداوات وأعمال العنف التي تحول دون تحقيق الأهداف.

قال تعالى: ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: «.. ومن ألقى اليكم

السلم فاقبلوا منه واستعينوا بالصبر، فإن بعد الصبر النصر

من الله..» (٢).

وقال عليه السلام: «السلم ثمرة الحلم» (٣).

وقال عليه السلام: «السلم علة السلامة، وعلامة الاستقامة» (٤).

وقال عليه السلام: «سالم الناس تسلم دينك» (٥).

وقال عليه السلام: «سالم الناس تسلم، واعمل للأخرة

(١) سورة الأنفال: ٦١.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤١ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال

ح ٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠٦٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠٦٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠٨٢.

«تغنم»^(١) :-

وقال عليه السلام : «من سالم الناس كثر أصدقاؤه وقل

أعداؤه»^(٢) . وقال عليه السلام : «من رضي من الناس بالمسألة

سلم من غوائلهم»^(٣) :-

هذا وفي الروايات أن السلم الحقيقي هو في اتباع تعاليم أهل البيت عليهم السلام والقبول بولايتهم.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ

جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٤) . قال : قلت : ما السلم؟

قال : «الدخول في أمرنا»^(٥) :-

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠١٨٣ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠١٨٧ .

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٤٤٥ ق ٦ ب ٤ ف ٤ ح ١٠١٩٢ .

(٤) سورة الأنفال : ٦١ .

(٥) الكافي : ج ١ ص ٤١٥ باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية ح ١٦ .

الرابع: الرجوع إلى أحكام الله

يلزم الرجوع إلى حكم الله تعالى وقانونه في توحيد المسلمين ورفع الحواجز، والحدود المصطنعة، التي ولدت التفرقة وتفكيك وحدة الأمة، فإعراض المسلمين عن الأحكام الإلهية ولّد هذه التجزئة، واستغلال الغرب لبلادنا. وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (١).

ومن وصايا الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن جندب: «يا ابن جندب، قديماً عمّر الجهل وقوي أساسه، وذلك لاتخاذهم دين الله لعباً، حتى لقد كان المتقرب منهم إلى الله بعمله، يريد سواه أولئك هم الظالمون» (٢).

(١) سورة طه: ١٢٤.

(٢) تحف العقول: ص ٣٠١ باب ماروي عن الإمام الصادق عليه السلام من طوال هذه المعاني.

الخامس: الاكتفاء الذاتي

يلزم السعي لتطبيق الاكتفاء الذاتي في المجتمع الإسلامي ؛ فإنه من مقومات قانون الأمة الواحدة.

فعلى أساس الاكتفاء الذاتي يسود المجتمع التعاون والإخاء والتكامل في أغلب النواحي الاقتصادية، وكذلك يتحقق الاستغناء عن الشرق والغرب.

إن الله جعل في أراضي المسلمين الخير الوفير من الزراعة والمعادن وغيرها، مما يساعد على الاكتفاء الذاتي.

وعندما يفهم أبناء الأمة ضرورة الاكتفاء الذاتي وحصول التكامل الاقتصادي، فهذا الإحساس بالمسؤولية تجاه الأمة يستطيع تفجير طاقاتها، ويحرك عجلة الإنتاج نحو الخروج بالأمة من قيود العبودية والتبعية، ويدخلها في إطار الحرية والوحدة والتطور والتقدم.

والاكتفاء الذاتي بحاجة إلى أمور عديدة، منها الهجرة

والزهد والعمل والجهد وغيرها.

قال رسول الله ﷺ قال: «إذا أعسر أحدكم فليضرب في

الأرض ويتغى من فضل الله ولا يغم نفسه». (١)

وروي: أن سلمان (رضوان الله عليه) كان يسف الخوص وهو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه، ويقول: لا أحب أن أكل إلا من عمل يدي، وقد كان تعلم سف الخوص من المدينة. (٢)

وفي كتاب سلمان إلى عمر بن الخطاب قال: «وأما ما ذكرت أنني أقبلت على سف الخوص وأكل الشعير، فما هما مما يعير به مؤمن ويؤنب عليه، وإيم الله يا عمر، لأكل الشعير وسف الخوص والاستغناء عن رفيع المطعم والمشرب، وعن غضب مؤمنٍ حقه، وادعاء ما ليس له

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٧ ب ١ ح ١٤٥٦٦.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٣ ص ٥٩ ب ٢٦ ح ١٤٧٤٨.

بحق ، أفضل وأحب إلى الله عز وجل وأقرب للتقوى ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ إذا أصاب الشعير أكل وفرح به ولم يسخطه».(١)

وسأل الإمام الصادق عليه السلام عن معاذ بيع الكرايس؟
ف قيل له : ترك التجارة.

فقال : «عمل عمل الشيطان ؛ من ترك التجارة ذهب ثلثا عقله ، أما علم أن رسول الله ﷺ لما قدمت غير من الشام فاشترى منها واتجر وربح فيها ما قضى دينه».(٢)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : «ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوة يطلب فيها لولده و عياله ما يصلحهم».(٣)

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ١٣٠ باب احتجاج سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب في جواب كتاب كتبه إليه ..

(٢) غوالي اللآلي : ج ٣ ص ١٩٣ باب التجارة ح ٥.

(٣) غوالي اللآلي : ج ٣ ص ١٩٤ باب التجارة ح ٦.

وقال عليه السلام: «الشاخص في طلب الرزق الحلال كالمجاهد في سبيل الله»^(١).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله: وقف بغزوة تبوك بشاب جلد يسوق أبعرة سمانا، فقال أصحابه: يا رسول الله، لو كان قوة هذا وجلده وسمن أبعرته في سبيل الله، لكان أحسن! فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أ رأيت أبعرتك هذا أي شيء تعالج عليها؟».

قال: يا رسول الله، لي زوجة وعيال، وأنا أكتسب بها ما أنفقه على عيالي، فأكفهم عن الناس وأقضي ديناً علي.
قال: «لعل غير ذلك؟».

قال: لا، فلما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لئن كان صادقا إن له لأجراً مثل أجر الغازي وأجر الحاج وأجر

(١) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٠ مجلس في ماهية العقول وفضلها.

المعتمر» (١).

وقال عليه السلام: «تحت ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله رجل ضارب في الأرض يطلب من فضل الله ما يكف به نفسه ويعود به على عياله» (٢).

وحكي عن داود عليه السلام: إنه كان يتوخي من تلقاه من بني إسرائيل فيسأله عن حاله؟ فيثني عليه، حتى لقي رجلاً فقال: نعم العبد لو لا خصلة فيه، فقال: «وما هي؟».

قال: إنه يأكل من بيت المال، فبكى داود وعلم أنه قد أتى، فأوحى الله عز وجل إلى الحديد: «أن لن لعبدي داود».

فألان الله له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعاً يبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاث مائة

(١) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٤ باب التجارة ح ٨.

(٢) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٤ باب التجارة ح ٩.

وستين ألفاً، فاستغنى عن بيت المال. (١)

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز» (٢).

وروى سيابة: إن رجلاً سأل الصادق عليه السلام: أسمع قوماً يقولون: إن الزراعة مكروهة؟ فقال عليه السلام: «ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا أطيّب منه، والله ليزرعن وليغرسن النخل بعد خروج الدجال» (٣).

النتيجة

ويعرف مما سبق بأن هذه النقاط الخمس هي من أهم

(١) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ١٩٩ باب التجارة ح ١٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٦٩ باب المعاش والمكاسب والفوائد والصناعات.. ح ٣٦٤٠.

(٣) غوالي اللآلي: ج ٣ ص ٢٠٣ باب التجارة ح ٣٩.

الأمر التي بواسطتها يتم خروج الأمة من هذا الوضع
المأساوي، وإعادة مجدها الحضاري ووحدتها وتطبيق قانون
(الأمة الواحدة) في مختلف البلاد الإسلامية حتى تصبح بلداً
واحدًا ذا شعب واحد، سواء في أفغانستان أو فلسطين أو
العراق الذي مر ويمر بظروف صعبة للغاية بسبب تعاقب
الطواغيت على حكمها وخاصة في فترة البعثيين. أو غيرها
من البلاد.

فإن الحديث عن جزء من بلاد المسلمين يجرننا إلى جميع
البلاد الإسلامية باعتبارها أمة واحدة وإن اختلفت
التسميات؛ فلذا كان لابد من تعميم الكلام ليشمل البلاد
الإسلامية أجمع، وكيفية معالجة ما قام به الاستعمار في
تفكيك وحدتها، وقد ذكرنا بإيجاز بعض النقاط الرئيسية
للعلاج في سبيل إعادة وحدة الأمة وتحقيق الحكومة
الإسلامية الكبيرة، وهذه النقاط واضحة المعالم. وهي

موجودة في الكتاب والسنة بشكل متكامل. ولكن تحتاج في مرحلة تطبيقها إلى دراسة وتخطيط ؛ لكي نتمكن من العمل بها على أرض الواقع بشكل صحيح ، والله الموفق المستعان .

«اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبة ، ومن **حسد** أهل البغي المودة ، ومن ظنة أهل الصلاح الثقة ، ومن عداوة الأذنين الولاية ، ومن عقوق ذوي الأرحام المبرة ، ومن خذلان الأقربين النصر ، ومن حب المدارين تصحيح **المقّة** ، ومن رد الملايسين كرم العشرة ، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمانة..»^(١).

(١) الصحيفة السجادية: ص ٩٤ من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق
ومرضي الأفعال.

من هدي القرآن الحكيم

الأمة الإسلامية الواحدة

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٣).

وقال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

(١) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١﴾.

الاختلاف والفرقة ونتائجها

قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ❖ مِنَ الَّذِينَ

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شِيعًا

وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٣) سورة الروم: ٣١-٣٢.

(٤) سورة الأنعام: ٦٥.

العلم أصل كل خير

وقال عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١).

وقال جل وعلا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

الشعور بالمسؤولية

وقال سبحانه: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٤).

وقال عز وجل: ﴿فَورِثْ لَنْسْتَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ❖ عَمَّا كَانُوا

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة طه: ١١٤.

(٣) سورة يوسف: ٧٦.

(٤) سورة الصفات: ٣٤.

يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

وقال جل وعلا: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ

الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾.

من هدي السنة المطهرة

الأمة الإسلامية الواحدة

قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما تحابوا

وتهادوا، وأدوا الأمانة، واجتنبوا الحرام»^(٣).

وقال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم يتخاونوا وأدوا

الأمانة»^(٤).

(١) سورة الحجر: ٩٢-٩٣.

(٢) سورة الأعراف: ٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٥٤ ب ٢٣ ح ٢٠٤٣٤.

(٤) ثواب الأعمال: ص ٢٥١ باب عقاب التباغض والتخاون.

وقال النبي ﷺ: «المؤمنون بد واحدة على من سواهم» (١).

الاختلاف والفرقة ونتائجها

وقال رسول الله ﷺ: «الاجتماع رحمة والفرقة عذاب» (٢).

وقال أمير المؤمنين ع: «وايم الله ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر باطلها على حقها، إلا ما شاء الله» (٣).

وقال ع: «كثرة الخلاف شقاق» (٤).

وقال ع: «عرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ١٥٠ ب ٤٣ ضمن ح ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ١٠٤ ب ٣ ح ٣.

(٣) أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٣٣- المجلس ٢٧ ح ٥.

(٤) غرر الحكم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧٢٠.

المفارقة^(١) .

وقال عليه السلام: «الأمر المنتظمة يفسدها الخلف»^(٢) .

العلم أصل كل خير

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفلاً من الأجر»^(٣) .

وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم»^(٤) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العلم يهدي ويرشد

(١) غرر الحكم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧٢١ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٦٦ ق ٦ ب ٥ ف ١٣ ح ١٠٧١٤ .

(٣) منية المرید: ص ٩٩ فصل فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل العلم .

(٤) منية المرید: ص ١٠١ فصل فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل العلم .

وينجي، وإن الجهل بغوي وبضل ويردي»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «قليل من العلم خير من كثير

العبادة»^(٢).

الشعور بالمسؤولية

قال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن

رعيته»^(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم

عنه مسئولون وإليه تصيرون، فإن الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾^(٤) ويقول: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٣ ق ١ ب ١ ف ١١ ح ٧٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ب ١ ح ١٠٤.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٦.

(٤) سورة المدثر: ٣٨.

وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ ويقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلُنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
❖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ فَاعْمَلُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ جَلِي
وَعَزِ سَائِلِكُمْ عن الصغير من عملكم والكبير» ﴿٣﴾.

* * *

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) سورة الحجر: ٩٢ - ٩٣.

(٣) أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٦٠ المجلس ٣١ ح ٣.

الفهرس

- الأمة الإسلامية الواحدة..... ٥
- آية الأمة الواحدة..... ٩
- آية أخرى تؤكد على الأمة الواحدة..... ١٢
- المعصوم عليه السلام يؤكد على الأمة الواحدة..... ١٣
- بداية التجزئة..... ١٨
- المأساة والعلاج..... ٢٢
- حكومة القاجار في إيران..... ٣٠
- إضاعة أفغانستان..... ٣٩
- مسؤولية المسلمين أمام الزحف السوفييتي..... ٤٢
- ماذا يعمل الأعداء..... ٤٦
- التخلص من المآسي وإرجاع قانون الأمة..... ٤٩
- الأول: الوعي..... ٤٩

٥٣	الثقافة وأثرها.....
٥٨	الثاني: التنظيم.....
٦١	الثالث: السلم.....
٦٤	الرابع: الرجوع إلى أحكام الله.....
٦٥	الخامس: الاكتفاء الذاتي.....
٧٠	النتيجة.....
٧٣	من هدي القرآن الحكيم.....
٧٦	من هدي السنة المطهرة.....